لم يعد له هم سوى العيش المرفه حد الموت : « اريد ان استريح ·· اتمدد ·· استلقي في الظل وافكر او لا افكر ·· لا اريد ان اتحرك قط ·· » (١١٤) او حال زكريا الذي انقطعت اخباره عن عائلته حين تزوج ، وتوقف عن اعالتها ، منكفئا على ذاته في الكويت ·· او حال اي شخص اخر يتوصل الى نجاح ما ···

ولكن هذا الموت ليس الا ظاهر موت اخر : اكثر اكتمالا ، يصيب اولئك الذين لا يفلحون في الوصول والنجاح · امثال عشرات القتلى الذين تودي بهم صحراء الغياب والسفر والانقطاع عن ارض فلسطين ، امثال اولئك الذين يتحولون هياكل عظمية في صحراء الحدود العراقية الكويتية (١١٣ ـ ١٣١ ـ ١٣٢) ومن بينهم ذانك الفلسطينيان (الغزاويان) اللذان دفنهما صديقهما في هذه الصحراء (١٢) هذا الموت يسقط في الغياب المكاني ايضا كرمز على الضياع الكلي فيه · كما جاء موت الفلسطينيين الثلاثة في الخزان عند الحدود الكويتية يؤكده ·

لذلك تشكل هذه البنية في ادانتها للابتعاد عن الارض (فلسطين) توضيحا بينا لعدمية اي حل يقوم على الهرب ـ السفر · فليس هناك من جدوى على الاطلاق في الابتعاد لحل المشاكل المطروحة · بالعكس ، لا يزيدها الابتعاد الا تعقيدا ، ينتهي الى كارثة وموت · فهذه المشاكل ليست الا نتيجة انقطاع اولي ـ خروج اولي من الارض ـ هرب اولي منها ، وليس الاستمرار في الهرب والخروج والانقطاع الا تعميقا لها · فمشكلات ابي قيس التي انتهت الى دفعه نحو السفر هي نتيجة خروجه الاول من قريته ، كذلك فان مشكلات مروان مرتبطة بخروج عائلته وعيشها في المخيم ··· ، كذلك الحال بالنسبة لاسعد الذي تقوم مشكلاته على قاعدة هذا الخروج (التظاهرات ـ السلطة الاردنية ··) ومضاعفاتها ··· وفي ذلك كله تنتصب دعوة ملحاح لكسر هذه الحلقة المميتة ، وذلك بتغيير الوجهة التي يجري التحرك فيها : بديل الذهاب بعيدا عن الارض (فلسطين) يجدر الذهاب العميق فيها : استعادتها · ورهافة الرواية ، تقوم في جعلها هذه الدعوة تنتصب في ثنايا دراميتها ، متصاعدة بقوة ورشاقة مع تناميها ، وذلك بالايحاء الذي يعطيها البعد الرمزي لبنيتها الواقعية ·

ان استيعاب خصائص هذا الموقف لا يتأتى الا باستيضاح هذه البنية كامل دلالاتها ـ او اهم ما يبدو لنا منها ـ في عملية تفسير تسعى لاستنطاق الابعاد الرمزية لهذه البنية ايضا واسع مراميها ·

٢ ـ بنية الخطر والموت والتاريخ :

اذا كانت بنية الرواية العامة تقوم على الخطر الذي يشكله الانقطاع عن الارض اندراجا مكانيا ـ زمانيا في الاوضاع السائدة ، في الهرب والكذب والخيانة ··· حتى العجز والموت ·· فان هناك مؤشرات عديدة عليها شكلت الاشارات الاولى والتحذيرات البدائية بما سيصبح خطرا داهما وموتا كريها · فأبو قيس يذكر اول ما يذكره بعد تركه لقريته في فلسطين اثر سقوطها في ايدي اليهود موت ابنته « حسنا » · لقد كان هذا الموت ـ موت طفلة بعد شهرين من ولادتها ـ بعد ثلاثة اشهر من تركه ارضه مؤشرا بينا على خطر هذا الانقطاع بالتحديد ، خاصة بالنسبة اليه هو الذي يقيم مع الارض